📚فتح الباري شرح صحيح البخاري

تاجُ المصنفات في سُنة خير البريات ✨

يعتبر كتاب **"فتح الباري شرح صحيح البخاري "**للحافظ ابن حجر العسقلاني، أحد أعظم الأسفار التي عرفها التاريخ الإسلامي، وأجلّ الشروح التي وُضعت لأصح كتاب بعد القرآن الكريم. إنه ليس مجرد كتاب شرح للحديث، بل هو موسوعة شاملة في الفقه، واللغة، والتراجم، والتاريخ، والأصول.

وقد قيل في حقه الكلمة المشهورة" :**لا هجرةَ بعد الفتح"**، إشارةً إلى أنه لم يترك لمن بعده مجالاً للإضافة أو الاستدراك عليه في شرح صحيح البخاري.

👳التعريف بالمؤلف: الحافظ ابن حجر العسقلاني

هو **أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني** (٧٧٣هـ - ٨٥٢هـ)، الملقب بـ **"أمير المؤمنين في الحديث."**

- **مكانته :**كان أعجوبة زمانه في الحفظ والإتقان، انتهت إليه رئاسة العلم في عصره.
- **مؤلفاته :**ترك مكتبة ضخمة من المصنفات، أبرزها "بلوغ المرام"، و"الإصابة في تمييز الصحابة"، و"تهذيب التهذيب"، ولكن يبقى "فتح الباري" هو درة تاج أعماله.

📖قصة تأليف الكتاب: ربع قرن من الجهد ⏳

لم يُكتب هذا الكتاب في سنة أو سنتين، بل كان مشروع عمرٍ كامل.

- **البداية والنهاية :**شرع الحافظ ابن حجر في تأليفه عام **817هـ**، وأتمه في غرة رجب عام **842هـ** .أي استغرق تأليفه **25عاماً** من الجهد المتواصل.

- **الاحتفال بالختم**: عندما أكمل ابن حجر هذا السفر العظيم، أقام وليمة كبرى حضرها العلماء والأعيان والسلاطين، وأُنفق فيها مئات الدنانير ابتهاجاً بإتمام هذا العمل الجليل الذي حفظ السنة النبوية.

🔍منهج ابن حجر في "فتح الباري"

تميز "فتح الباري" بمنهجية علمية دقيقة وفريدة، جعلته المرجع الأول بلا منازع. ومن أبرز ملامح هذا المنهج:

1️⃣ مقدمة الكتاب (هدي الساري) 📜

قبل الدخول في الشرح، وضع ابن حجر مقدمة ضخمة سماها **"هدي الساري مقدمة فتح الباري"**، وهي كتاب مستقل بذاته، تضمنت ١٠ فصول شرح فيها منهج البخاري، وأجاب عن الانتقادات الموجهة لبعض الرواة، وضبط فيها الأنساب والغريب.

2️⃣ الجمع بين الروايات 🔗

يقوم ابن حجر بجمع طرق الحديث المختلفة من صحيح البخاري وغيره، ليخرج بصورة متكاملة للحدث أو القصة، مما يزيل أي إشكال أو تعارض ظاهري بين النصوص.

3️⃣ التحليل اللغوي والفقهي ⚖️

- **لغوياً**: يشرح غريب الألفاظ، ويضبط المُشكل منها، ويعرب ما يحتاج إلى إعراب.
- **فقهياً**: يستنبط الأحكام الفقهية بدقة متناهية، ويعرض مذاهب العلماء (الأئمة الأربعة وغيرهم) بإنصاف وتجرد، ويرجح ما يراه صواباً بالدليل، وإن كان شافعي المذهب إلا أنه كان يدور مع الدليل حيث دار.

4️⃣ علم الرجال والتراجم 👥

بما أنه "حافظ العصر"، فقد كان يتكلم عن رجال السند (الرواة) بدقة، مبيناً أحوالهم من حيث الجرح والتعديل، وكاشفاً عن الأوهام التي قد تقع في الأسانيد.

💎 مميزات جعلت "فتح الباري" فريداً

يتميز هذا الكتاب بخصائص جعلته يتفوق على شروح البخاري الأخرى (كشرح الكرماني، أو عمدة القاري للعيني، أو إرشاد الساري للقسطلاني):

- ✅ **سعة المصادر**: نقل ابن حجر عن مئات الكتب التي فُقد الكثير منها اليوم، فحفظ لنا نصوصاً من مصادر ضائعة.
- ✅ **التوفيق بين المختلف**: برع ابن حجر في "الجمع بين المختلف"، فإذا ظهر تعارض بين حديثين، يوفق بينهما بأسلوب عبقري يزيل الإشكال.
- ✅ **حسن الترتيب**: يبدأ بذكر الحديث، ثم يشرح مفرداته، ثم يذكر الفوائد المستنبطة، ثم الخلاف الفقهي، بتسلسل منطقي مريح للقارئ.
- ✅ **الروح الإيمانية**: الكتاب ليس جافاً، بل مليء بالفوائد التربوية والرقائق التي تحيي القلوب.

🌟 ثناء العلماء على الكتاب

أطبق العلماء على تعظيم هذا الكتاب منذ عصر المؤلف وحتى يومنا هذا:

- قال **الشوكاني**: *"لا هجرة بعد الفتح"*، قاصداً أنه يُغني عن غيره من الشروح.
- وقال **السخاوي**: *"أما شرحه المسمى بفتح الباري فصار دواوين الإسلام، ومنهل يروي ظمأ الفقهاء والمحدثين."*
- وقد تسابقت الملوك في عصره لنسخه وطلبه وشرائه بوزنه ذهباً.

🏁 الخاتمة: كنز لا غنى عنه

إن كتاب **"فتح الباري "**ليس مجرد شرح لكتاب حديث، بل هو **مكتبة إسلامية كاملة في كتاب واحد** .هو المرجع الذي لا يستغني عنه طالب علم، ولا فقيه، ولا مفتٍ، ولا باحث في الشريعة.

لقد وضع الحافظ ابن حجر عصارة فكره، وخلاصة علمه، وزهرة عمره في هذا الكتاب، فجاء بناءً شامخاً يشهد على دقة علماء المسلمين وتفانيهم في خدمة سنة نبيهم ﷺ.

🤲**رحم الله الحافظ ابن حجر العسقلاني، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.**

🌊غوصٌ في أعماق "فتح الباري": أسرارٌ ونفائس لم تُروَ من قبل 💎

إذا كان "صحيح البخاري" هو أصح كتاب بعد كتاب الله، فإن "فتح الباري" هو المفتاح الذهبي الذي فك مغاليقه وكشف كنوزه. هنا نستعرض جوانب أكثر تخصصاً وتفصيلاً.

🏛️أولاً: "هدي الساري".. الكتاب الذي سبق الكتاب

لا يمكن الحديث عن الفتح دون التوسع في مقدمته المذهلة **"هدي الساري** ."
لم تكن مجرد مقدمة تقليدية، بل كانت كتاباً ضخماً فكك فيه ابن حجر "الشفرة العلمية" لصحيح البخاري قبل البدء في الشرح.

تضمنت هذه المقدمة عشرة فصول عبقرية، أهمها:

1. **الفصل في المعلقات** :قام بوصل جميع الأحاديث المعلقة (التي حذف البخاري أول سندها) وأثبت صحتها، وهو عمل تعجيزي لا يقوم به إلا إمام.
2. **بيان حال الرواة المتكلم فيهم** :دافع بالحجة والبرهان عن رواة في البخاري انتقدهم بعض العلماء، وأثبت عدالتهم وضبطهم.
3. **شرح غريب الألفاظ** :قام بعمل قاموس لغوي لألفاظ الصحيح مرتباً على حروف المعجم.

⚔️ثانياً: المنافسة التاريخية (ابن حجر والعيني)

من ألطف ما يذكر في تاريخ هذا الكتاب، تلك المنافسة العلمية الشريفة والشرسة بين **الحافظ ابن حجر** (الشافعي) وبين الإمام **بدر الدين العيني**)الحنفي.(

- **القصة** :كان العيني يكتب شرحه "عمدة القاري" في نفس توقيت كتابة "فتح الباري". وكان العيني أحياناً يطّلع على ما يكتبه ابن حجر ويرد عليه، وابن حجر يرد عليه في مجلسه.
- **الفرق بينهما:**
  - **فتح الباري** :تميز بقوة الصناعة الحديثية، وتحرير الأسانيد، ودقة الاستنباط (صنعة محدث).
  - **عمدة القاري** :تميز بالسرد اللغوي، والشواهد الشعرية، وتوسيع الفروع الفقهية الحنفية (صنعة فقيه ومؤرخ).
- **النتيجة** :هذه المنافسة أثرت المكتبة الإسلامية، لكن الغلبة والقبول العام كان لـ "فتح الباري" بسبب تحقيقه الحديثي الذي لم يسبق له مثيل.

🧩ثالثاً: عبقرية ابن حجر في "تراجم الأبواب"

من أصعب الألغاز في صحيح البخاري ما يسمى بـ **"فقه البخاري في تراجمه "**(أي العناوين التي يضعها للأبواب). أحياناً يضع البخاري عنواناً ثم يذكر حديثاً لا يبدو ظاهرياً أن له علاقة بالعنوان!

- **دور الفتح** :جاء ابن حجر ليفك هذه الألغاز؛ فكان يغوص في عمق الحديث ليستخرج الرابط الخفي بين "العنوان" و"الحديث"، مبيناً براعة البخاري في الإشارة إلى أحكام فقهية دقيقة عبر العناوين. وهذا يعتبر من أميز خصائص "فتح الباري."

📝رابعاً: رحلة الكتاب وطباعته (من المخطوط إلى المطبوع)

قصة وصول الكتاب إلينا لا تقل إثارة عن تأليفه:

١. **النسخ اليدوية :**في حياة ابن حجر، تنافس الملوك والأمراء لنسخه. وقد بيعت النسخة الأولى بمبلغ فلكي، واستكتب السلطان جقمق نسخة وأهداها لمكتبة المدرسة المحمودية.
٢. **الطبعة "البولاقية" (الأميرية) :**هي أشهر وأتقن طبعة للكتاب، طبعت في مصر بالمطبعة الأميرية ببولاق عام (١٣٠١هـ). وتعتبر هي "الأصل" الذي يرجع إليه العلماء لقلة الأخطاء فيها وجودة تدقيقها.
٣. **الطبعة السلفية :**أشرف عليها العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محب الدين الخطيب، وهي من أجود الطبعات الحديثة ومرقمة الأحاديث.

🧠خامساً: منهجية ابن حجر في التعامل مع "المُشكل"

كيف تصرف ابن حجر عند الأحاديث التي قد تبدو متعارضة مع العقل أو الواقع أو أحاديث أخرى؟

- **احترام النص :**لم يرد الحديث بعقله، ولم يتكلف في تأويله بما يخرجه عن سياقه.
- **التوقف والتريث :**إذا لم يجد حلاً، كان يقول بأمانة علمية: "لم يظهر لي وجهه" أو "الله أعلم بمراده"، وهذا درس في التواضع العلمي.
- **تعدد التوجيهات :**يذكر عدة آراء للعلماء في شرح المسألة الواحدة، ثم يختتم بقوله" :**والأظهر عندي "**...أو **"والذي يترجح"**...، مما ينم عن شخصية علمية مستقلة لا تكتفي بالنقل.

✨سادساً: اقتباسات خالدة حول الكتاب

لنعرف قدر الكتاب، نتأمل ماذا قيل عنه بدقة:

"انتفعتُ بفتح الباري أعظم انتفاع، ولولا هذا الشرح لظل صحيح البخاري مغلقاً عليّ في كثير من المواضع) — *"*.أحد كبار علماء الهند.(

"هو ديوان الإسلام، لا يمل قارئه، ولا يشبع طالبه".

🎁الخلاصة: لماذا "المزيد" مهم؟

لأن **فتح الباري** ليس كتاباً تقرأه وتمضي، بل هو **مشروع حياة**.
إن كنت باحثاً، فهو مرجعك في التخريج.
وإن كنت لغوياً، فهو قاموسك في الغريب.
وإن كنت فقيهاً، فهو موسوعتك في المقارنة.
وإن كنت مؤرخاً، فهو سجلك لتراجم الرجال.

إنه بحق كما وصف" :**فتحٌ من الله على يد الحافظ ابن حجر**."
